العلاقة بين الكنيسة الغربية والكنيسة الاسبانية (587-1091م)

المدرس المساعد
حسين جبار مجيتل العلياوي
جامعة البصرة - كلية التربية

المقـدمة

إن مما يلفت الانتباه في دراسة العلاقة بين القوى الإسلامية والنصرانية في اسبانيا هو دعم زعامة العالم المسيحي المتمثل بالبابوية للأسبان بشكل ملفت للنظر ، يبدو ذلك واضحاً بدءاً من بدء التوسع الإسلامي في المنطقة والذي شكل تحدٍ كبير لسلطة البابوية الروحية ، مما جعلها تقف بحزم لمقاومة ذلك التوسع بأتباع أساليب عدة منها العسكرية والسياسية والروحية ، ومن خلال هذا البحث سنحاول تسليط الضوء على جانب من علاقة البابوية بالنصارى الأسبان من الناحية الدينية ، في محاولة منها للإبقاء على عنصر التواصل بعد إن قطع المسلمون الصلات الأخرى ، وهي محاولة ذكية من قبل البابوية تنطلق منها عندما تسنح الفرصة المناسبة لها وهو ما حدث بالفعل .

وقد ركز البحث على العلاقة بين الجانبين حتى عام (484هـ/1091م) وذلك لان البابوية أحكمت في ذلك التاريخ سيطرتها على معظم الكنائس الاسبانية ، في عهد البابا اوربان الثاني .

العلاقة بين الكنيسة الغربية والكنيسة الاسبانية (587 -1091م)

كان إعلان مرسوم ميلان edict of milan ، عام 313م ، من قبل الإمبراطور قسطنطين constantine (306 – 337م) بداية مهمة في حياة دولته ، بأعترفه بالديانة المسيحية .**(1)** وجعلها متساوية مع الأديان الوثنية الرومانية ، وأصبح للكنائس المسيحية حق التملك ، كما منح المرسوم المسيحيين الحماية الكاملة لأرواحهم ومبانيهم وممتلكاتهم.(2) وقد آثر ذلك في حياة المجتمع ، من خلال النزاع الذي حدث بين تيارين, رجال الدين النصارى من جهة ، والحكام من جهة أخرى ، حول أحقية الزعامة على المجتمع .**(3)**

واجهت المسيحية في عهدها الأول أزمات خطيرة مست عقيدتها ، أبرزها الهرطقة الدينية ، وهي مجموعة من الآراء والأفكار تتعلق بعقيدة الثالوث **(4)** ، وظهرت هذه الحركات الدينية في الشرق ، كالآريوسية والمنوفستية . **(5)** ومثلت مشكلة أساسية للأساقفة

الشرقيين ، حتى عقدت سبعة مجاميع دينية كلها في الشرق لحلها . وأسهمت كنيسة روما بدور مهم في هذا الجانب سواء من حيث رئاسة هذه المجاميع الدينية ، أو توضيح عقيدتها الكاثوليكية .**(6)** (7)

وعلى هذا الأساس ، عقد في عام 325م مجمع نيقية nicaea . لحل مشكلة الآريوسية، وفيه اخذ برأي كنيسة روما ، حول تفسير طبيعة الأب والابن ، المستندة إلى أزلية السيد المسيح ، ووحدته الكاملة بالأب- الله - ومثل بابا روما قسيسان ، ويبدو إن هوسيوس أسقف قرطبة ، كان أيضاً نائبا عنه ، وأسندت إليه رئاسة معظم الجلسات المعقودة في المجمع . **(8)** ولتجدد الخلافات حول تفسير طبيعة المسيح مرة أخرى ، وعدم التوصل إلى اتفاق موحد حول هذه المسألة ، شرح البابا ليو الأول (440-461م) في رسالته ، في مجمع خلقدونيا عام 451م .بأن للسيد المسيح طبيعتين ، بشرية وسماوية ، تجسدت في شخصية واحدة مقدسة ، فأنهت آرائه الجدل القائم .**(9)** وكان قد توج جهده بالحصول على أقرار سابق عام 445م بتفوق السلطة الروحية على حساب الزمنية .**(10)**

ويبدو أن ذلك منح بابا روما نصراً جديداً ، أكدت فيه البابوية على زعامتها الروحية للنصارى ، وأنها المرجع الديني الأعلى لهم لحسم الخلافات المذهبية بينهم .

كانت البابوية في الغرب قد احتفظت بنوع من الرئاسة العليا على كنائس الغرب ، من خلال رجوع الأخيرة إليها في بعض الأمور الدينية مثل تحديد موعد عيد الفصح ، كما أن المبشرين الذين نشروا العقيدة الكاثوليكية ، خلال القرنين الخامس والسادس ، بين القبائل الجرمانية ، حصلوا على مباركة البابوية ، وكانوا على ارتباط مباشر بها ، مما أعطاها صفة الزعامة الدينية على جهودهم .**(11)**

في المقابل ظلت الكنيسة الشرقية تحت تأثير الطبقة الحاكمة في القسطنطينية ، في حين تحولت السيادة الكاملة على الكنائس الغربية في الغرب ، في عهد البابا جريجوري الأول (590-604م) بيد البابا نفسه .**(12)** كما بدأت تظهر جملة من الخلافات في وجهات النظر في المسائل الدينية ، حول تفسير طبيعة السيد المسيح الإلهية والبشرية ، مما خلق سبباً للخلاف بين الكنيستين .**(13)** وزاد من عمق التباعد بينهما رفض الكنيسة الشرقية الاعتراف بأسبقية كنيسة روما ، وأكدت على استقلالها عنها .**(14)**

أما عن الأوضاع في اسبانيا ، فقد دخلها القوط الغربيين عام 414م ، وأقاموا فيها دولتهم ، وساد أبان حكمهم ، نوعا من الخلاف بينهم وبين السكان القاطنين فيها - وكانوا من أصل

اسباني وروماني - لأنهم على المذهب الكاثوليكي .**(15)** في حين كان الغوط على المذهب الآريوسي .**(16)**

ويبد من غياب التوافق والانسجام بين الطرفين ، سببه الخلاف الديني ، والذي عد أيضاً ، سبباً لتوتر العلاقات السياسية والعسكرية مع جيرانهم الفرنسيين ، خلال حكم دولة الفرنجة ، التي اعتنق حكامها الكاثوليكية ، وعرفوا بولائهم للبابوية .**(17)**

ولكن الوضع تبدل في اسبانيا عام 587م **(18)**. حين أدرك الملك ريكاريدو بن ليوفيجلد (586-601م)، أن الحل الوحيد لحسم الخلاف توحيد الجانب الديني في بلاده أولاً ، ومن ثم توطيد علاقاته السياسية الخارجية مع فرنسا الكاثوليكية ثانياً . فأعلن في مجمع ديني عقد بطليطلة ، اعتناقه مع أسرته ورجال المملكة للمذهب الكاثوليكي ، ورافق هذا التبدل الديني ، اعتبار اللغة اللاتينية اللغة الرسمية للبلاد ، وتوطدت بذلك علاقات المملكة سياسياً ودينياً بالبابوية ، وقدم إلى اسبانيا عدد كبير من رجال الدين من الأساقفة والرهبان الكاثوليك ، وتحولت طليطلة إلى أسقفية تولى رئاستها أسقف مرتبط بالكنيسة الغربية في روما ، ويمثل سلطة البابا باعتباره نائبا عنه ، وصارت لطليطلة نفوذ ديني مهم يوازي سلطة الملوك الحاكمين .**(19)**

ولما كان ملوك الغوط قبل التحول الديني ، محتفظين بأمتيازات خاصة ، منها دعوتهم لعقد المجاميع الدينية ، وطرح جدول أعمال المجمع والقضايا التي سوف تناقش فيه ، بل حتى إن قرارات المجمع لا تعتبر نافذة إلا بعد مصادقة الملك عليها ، ألا أن الحالة اختلفت في عهد ريكاريدو ، إذ سعت الكنيسة الاسبانية إلى فرض مذهبها الجديد في عموم البلاد ، ومعاقبة المخالفين لها ، بل عمدت إلى محاولة فرض تأثيرها على السلطة السياسية الحاكمة ، على اعتبار إن لها حقاً دينياً شرعياً من الله ، ولا يستبعد أن هذا التوجه العنيف لفرض المذهب الكاثوليكي تم بدعم من السلطة الحاكمة لإثبات ولائها للبابوية .**(20)**

ويبدو أن هذا التوجه ، لم يكن بمعزل عن تدخل البابوية ، وبخاصة إذا أخذنا بنظر الاعتبار أن سلطة أسقف طليطلة في البلاد الاسبانية ، مثلت سلطة البابوية ، باعتباره نائبا عنها ، لفرض سلطتها هناك.

في الوقت ذاته أخذت سلطة البابوية في روما ، تتزايد على حساب السلطة الزمنية،ساعدها على ذلك سعي عدد من الحكام للحصول على دعمها وتأييدها ، من أمثال كلوفس (486-511م) الذي اعتنق الكاثوليكية عام 496م وشارك بصورة فعالة في نشرها ، بين القبائل الجرمانية التي اعتنقت الآريوسية . **(21)** وهنا تبدو أهمية دعم البابوية في إضفاء

صفة شرعية على من يتولى الحكم ، مما وسع من صلاحيتها ، وعلى هذا الأساس عين بيبن القصير (124-151هـ/ 741-768م) عام (135هـ/ 752م) ، بموافقة البابوية ، لذلك كانت صلات الطرفين في عهده وطيده . **(22)** ومثل ذلك حدث لشارلمان (151-199هـ/ 768-814م)الذي توج إمبراطورا عام (184هـ/ 800م) بمباركة البابوية وموافقتها ، وكان له إسهام فعال في الوقوف إلى جانبها ضد خصومها في ايطاليا من اللومبارديين **.(23)**

يبدو أن البابوية في روما أرادت إيجاد قوة سياسية تدين لها بالولاء تكون سنداً لها ضد خصومها ، ودل ذلك على حاجتها لقوه عسكرية موالية لها ، ونجحت فعلا في أن تخطو الخطوة الأولى في هذا المجال ، بسعيها إلى فرض سلطتها الدينية على حساب السلطة الحاكمة ، مما شكل نقطة تماس مع بعض الحكام الذين وجدوا فيها تهديداً لاستقلالهم **.(24)** لكن الظروف السياسية والعسكرية في الغرب الأوربي عامة ، والأندلس خاصة ، سارت في غير صالح الحكام الأوربيين ، بفعل التفوق الإسلامي على الممالك الأسبانية الشمالية **.(25)** اضطر النصارى لإيجاد حافز ديني يحشد قدراتهم ضد المسلمين **(26)**. الذين تمكنوا من تثبيت موطئ قدم لهم في ايطاليا خلال المدة مابين عامي (212-226هـ/827-840م) .**(27)**

أستغل الفونسو الثاني (175-227هـ/ 791-841م) ، رواية احد الرهبان في جليقية الغربية ، روى فيها عنه أنه شاهد في احد الأماكن نوراً سماوياً يكشف عن قبر القديس ياقب الرسول **(28)** ، ونقل القس تيودمير أسقف أيريا تفاصيل هذه الحادثة إلى الفونسو ، وأمر أن تبنى فوق هذه البقعة كنيسة **.(29)** وصار قبر القديس ياقب - يعقوب- مكاناً مقدساً لا يقل أهمية عن بيت المقدس وروما ، وتحول المكان إلى مدينة واسعــة سميت

شنت ياقب المقدسة ، ولإقناع العامة ودفعهم إلى التصديق بقدسية هذا المكان ، وأن القديس يباركهم ويحميهم ، ادعى الكثير من الحكام والقادة العسكريين ، بأنه رأى سنتياجو، في المعركة راكباً فرس بيضاء ، وبيده سيف براق ، يساعدهم في الحرب ضد المسلمين للظفر بهم ، حتى أطلقوا عليه تسمية قاتل المسلمين .**(30)**

وتأتي أهمية هذه الحادثة ، إلى كونها محاولة إلى إثارة الانتباه حول أهمية اسبانيا الدينية بوجود هذا المزار فيها ، ولعل الأسبان أرادوا استثارت البابوية لتستغل قدسية هذه البقعة لدعم الأسبان ، حتى أن الأستاذ ألتاميرا علق على اثر هذه الحادثة وإبعادها الدينية بقوله (وقد بعث هذا الاكتشاف في النصارى أيما سرور وانتظمت وفود عظيمة ، جاءت لتحج إلى القبر لا من الأراضي الاسبانية وحدها ، ولكن من الخارج أيضاً ، وهكذا بدأ تيار من الزيارات والمؤثرات الأوربية في جليقية ، وكان لها أعظم تأثير في العادات والآداب) **(31).**

في الوقت نفسه كانت البابوية تواصل جهودها ، من اجل تأكيد هيبتها الدينية ، وفرض سلطتها على جميع النصارى ، متذرعة بحاجتهم إلى توحيد صفوفهم لصد الخطر الإسلامي ، ودلت مواقف البابا نيقولا الأول (244-253هـ/858-867م) بأن تتولى الكنيسة الحكم في حالة إخفاق الحاكم في حكم بلاده **.(32)** ولكن يبدو إن إجراء البابوية هو الحفاظ على الهوية المسيحية من الذوبان بتحويل رجال الدين إلى قادة سياسيين ودينيين في الأماكن التي استولى عليها المسلمين وهي محاولة ذكية منها مستغلين في ذلك احترام المسلمين للأديان السابقة .

كما عقد مجمع كنسي في شاور بفرنسا عام (379هـ/989م) ، بحضور أساقفة أكيتانيا ، ونصت مقرراته على تحريم الاعتداء على الكنيسة ، ورجال الدين والفلاحين ، ومن يفعل ذلك أستحق عقوبة الحرمان **.(33)** وفي السنة التالية ، عقد مجمع آخر في مدينة لوبوي بفرنسا ، عام (380هـ / 990م) ، أكد فيه جاي أنجو أسقف المدينة على نفس المقررات السابقة .**(34)**

كان لتوسع العمليات العسكرية للمسلمين باتجاه ايطاليا ، ونجاحهم في السيطرة على مناطق مهمة منها . **(35)** اثر واضح دفع بالبابوية لاستغلال هذه الظروف لتأكيد زعامتها على العالم المسيحي ، وتبنى على إثرها البابا سلفستر الثاني (390-394هـ/999-1003م) ، في مجمع كنسي في لوبوي ، في عام(390هـ/999م) **(36)**، الدعوة إلى حرب مقدسة ، وشرح فكرته إلى رجال الدين في كنيسته ، ثم عرضها على الحكام المعاصرين له ، والأمراء الغربيين ، وكانت أول دعوة لمقاومة المسلمين بدعم واضح من البابوية .**(37)**

وأكد على نفس القرارات السابقة في مجمع بواتية ، بعد سنة واحدة من عقد المؤتمر الأول ، أي عام (391هـ/1000م) ، وعلى حرمة التجاوز على الممتلكات الكنيسة ورجالها ، أي بمعنى آخر منع الأمراء والملوك الأوربيين من الاعتداء على المناطق الخاضعة لسيادة البابا ، ولا يجوز التوسع على حسابها، وصار لها قدسية خاصة ، وحضي رجال الدين النصارى بحصانة وحماية من قبل البابا ، فلا يمكن التعرض لهم بسوء .**(38)** وحضيت بنود مجمع بواتية بموافقة من لدى وليم الكبير دوق جبين ، وطبقة النبلاء ، وتعهد ملك فرنسا روبرت الثاني (386-423هـ/ 996-1031م) بالتمسك بها. **(39)** ويبدو إن محاولة توحيد الكنائس الغربية والشرقية ، تحت سلطة واحدة ، هي البابا في روما ، كان من ضمن أهداف هذا المشروع العسكري ، وبخاصة إن رجال الدين النصارى في روما كانوا يؤيدون الحل العسكري لانتزاع السلطة من المسلمين في أسيا الصغرى ، والانتهاء عند بيت المقدس **(40).**

حفز البابوية للاهتمام بأسبانيا ، شجعها على أعادة سلطتها الدينية عليها وربطها بها ، دوافع عدة ، منها تزايد الرأي المؤيد للكنيسة الغربية ، والتي ظهرت على شكل الرواية التي تعلقت بشخصية القديس ياقب الرسول ، لحث الغربيين على الاهتمام بالبلاد الاسبانية **.(41)** ثم انتقال الإشراف على الأمور الكنسية في هذه البلاد إلى الحكم الإسلامي، وصار من حق المسلمين تعيين المطران أو الموافقة على انتخابه ، ولما كانت مطرانية طليطلة لها الرئاسة على مثيلاتها ، وتابعة ـ قبل الفتح الإسلامي ـ إلى الكنيسة الغربية ، فأن الوضع تبدل بعد تغير الحالة السياسية ، وترتبت عليه انقطاع صلات الكنيسة الاسبانية بالبابوية ، وتوقف النصارى الأسبان في المناطق الخاضعة للمسلمين من إرسال أموالهم إليها ، وانفصلوا عن النصارى في ايطاليا وفرنسا وبقية أوربا . وأخذت الكنيسة الاسبانية ـ ومذهبها الكاثوليكي على غرار روما ـ تتأثر بالآراء الدينية للكنيسة الشرقية ، نسبة إلى الدعاة النصارى الذين حملوا الأفكار الشرقية إلى اسبانيا ، في حين ظلت الكنائس الغربية الأخرى على اتصال دائم ومباشر مع البابوية **.(42)**

أن هذا لا يعني انقطاع الصلات تماما بين البابوية والنصارى الأسبان ، في المناطق التي حكموا فيها بعيداً عن السيطرة الإسلامية **.(43)** فحين أراد الفونسو الثالث ، تنظيم الشؤون الكنيسة في بلاده ، طلب من البابا يوحنا الثامن (259-269هـ/872-882م) لعقد مجمع ديني لاختيار الأساقفة ورجال الدين ، في عام (262هـ/875م) ، في مدينة اوفيدوا الاسبانية **.(44)**

لم تستطع الكنيسة الغربية ربط الكنيسة الاسبانية بها كليا ، بل ظلت الأخيرة تتمتع باستقلال فعلي خلال حكم المسلمين ، وبعيدة عن البابوية لروما ، لكن سرعان ما تغيرت هذه الأوضاع ، منذ بداية القرن الحادي عشر ، بفعل الآباء البندكتيون . **(45)** الذين جاء بهم إلى البلاد الأسرة النافارية الملكية ، واستطاع هؤلاء من ارتقاء المناصب الدينية العليا في الكنيسة الاسبانية **.(46)** وتولوا أيضاً مناصب مهمة في الجيش والإدارة ، ومثلوا الإدارة التي مهدت لترسيخ السلطة البابوية في البلاد النازحين إليها **.(47)**

ويمكن ملاحظة أيضاً ، بروز تيار ديني آخر ، كان له أثر لا يمكن إغفاله في دعم سلطة البابوية ، ومحاولة ربط الكنيسة الاسبانية بها **.(48)** وهم الكلونيين ، الذين فتح لهم وليم التقي دوق أكوتين ، في عام (298هـ/910م) ، ديراً لهم في منطقته ، وأصبحت مقاطعة برغنديا الفرنسية مقرا رئيسياً لهم **.(49)** وحملت حركتهم في طياتها بعداً إصلاحياً ، هدف إلى الاستقلال التام عن السلطات الدنيوية والدينية ، والارتباط المباشر بالبابوية ، وإنهاء استقلال الأديرة ، ثم المناداة بإصلاح الكنيسة والبابوية مما علق بها من مفاسد **.(50)** وبدعم من

الإمبراطور الألماني هنري الثالث (431-448هـ/1039-1056م) ، تم مد الحركة الإصلاحية في عموم الأديرة الألمانية ، وتحولت الأديرة الكلونية غاية رجال الدين المتحمسين لإصلاح الكنيسة ، واعتقدوا أن الحل المجدي ، يقوم على أساس تنظيم كنسي جديد وفعال في إدارة الكنيسة ، مما جعل مقصدهم البابوية ، كونها المرجعية الدينية العليا ، وبتولي البابا ليو التاسع(440-446هـ/1048-1054م) كرسي البابوية ، حتى شرع عدة مراسيم إصلاحية ، كتنظيم اجتماعي وأخلاقي لرجال الدين **.(51)**

وأسهم دير كلوني في فرنسا ، برئاسة اوديلو (384-440هـ/994-1048م) ، ومن بعده هيو (440-503هـ/ 1048-1109) ، بدور فاعل في أسبانيا **.(52)** حيث سعى هؤلاء باستغلال حاجة الأسبان لدعمهم عسكرياً ، بزيادة النفوذ البابوي في البلاد ، ونجحوا في تحقيق هيمنة البابوية على الكنيسة الاسبانية ، في عام (409هـ/1018م)**.(53)** بخاصة إن عناية هذا الدير توجهت إلى الاهتمام بالحجاج النصارى إلى كومبوستيلا (شنت ياقب) ، والدفاع عنهم إذا لزم الأمر **.(54)**

ويبدو انه بفعل جهود هذه الحركات الدينية الموالية للبابوية ، بدأت مرحلة جديدة في اسبانيا ، تميزت بسيطرة رجالات هذه الحركات على المؤتمرات التي عقدت في البلاد النازحين إليها .

وعد المؤتمر الديني الذي عقد بقشتالة في جويانسا ، في عام (442هـ/1050م) ، خطوة بارزة ، وضحت بروز دور البندكتيين ، في مجال فرض سلطة الكنيسة والطاعة لها ، وحضر هذا الاجتماع الكنسي الملك فرناندوالاول (414-458هـ/1023-1065م)، والملكة سانشا ، وتسعة أساقفة بينهم أسقف بنبلونة ، وكان نائبا عن مملكة نافار **.(55)** وتأتي أهمية قرارات هذا المؤتمر أنها نصت على الأخذ بتعاليم القديس بندكت في جميع الأديرة الاسبانية ، واحترام الكنيسة وعدم التجاوز عليها وعلى أملاكها ، وان لها السلطة العليا في البلاد ، وعلى السلطة الدنيوية الانقياد لها **.(56)** والذي يخالفها يتعرض لعقوبة فقدان منصبه ، والحرمان والنفي من قبل الكنيسة ، والذي يكون على بعد ثلاثين خطوة من عتبتها ، يعتبر في حمايتها وتحت رعايتها ، ومشمول بنظام القضاء الكنسي **.(57)**

أن نظره دقيقة إلى هذا المؤتمر ومقرراته ، يبدو منه إلى إن الكنيسة الغربية ، بفعل مؤييدها ، عملت على توطيد نفوذها دينياً في البلاد ، وفرض هيبتها على السلطة الحاكمة.

وأكدت سيادتها في اسبانيا ، عن طريق مؤتمر أخر عقد في شنت ياقب بقشتالة ، بعد ست سنوات ، أي في عام (448هـ/1056م) ، والذي قرر الالتزام بنفس بنود المؤتمر السابق

.(58) وتزامن مع زيادة النفوذ البابوي في اسبانيا ، تخلص البابوية من تدخل الطبقة الحاكمة في مسألة اختيار البابا ، عن طريق الوثيقة التي أعلنها البابا نيقولا الثاني (449-453هـ/1057-1061م) ، وحصر فيها ممارسة هذا العمل على مجلس الكرادلة، حيث جاء فيها (نحن البابا نيقولا الثاني رسمنا وقررنا انه عندما يموت بابا كنيسة روما العالمية ، فأن الأساقفة الكرادلة ينبغي أن يجمعوا ويتدبروا الأمر مليا ، ثم يلحق بهم القساوسة الكرديناليون ، ثم يوافق بقية رجال الكنيسة والشعب على الانتخاب الجديد).**(59)**

وعلى اثر ذلك الإعلان فسح المجال أمام بروز سلطة البابوية الكبيرة ، بعيداً عن أي تدخل من الحكام ، وبرز معه بداية السطوة الدينية العالمية لكنيسة روما ، في توحيد الكنائس المسيحية تحت زعامتها.

أزاء هذه التبدلات الجوهرية تزايد نفوذ رجال الدين المؤيدين للبابوية في اسبانيا ، حتى صارت مملكة اراغون خاضعة بشكل مباشر وكامل لها ، وبخاصة بعد الاجتماع الكنسي ، الذي عقد بمدينة جاقة ، في عام (452هـ/1060م) ، وانبثق عنه ما يشبه البرلمان ، وتألف من تسعة أساقفة ، وملك اراغون راميرو (430-455هـ/1038-1063م) وولي عهده ، وعدت على إثرها مدينة جاقة مركزاً لأسقفية **.(60)** وأسفرت نتائج المجمع أيضاً ، عن مكاسب جديدة في صالح البابا ، منها تعهدت مملكة أراغون بدفع إيراد ثابت إلى كنيسة روما ، سواء كان نقدياً أو عينياً ، كان مقداره نحو العشر من الأموال والمحاصيل ، ومثلها من الجزية التي يدفعها المسلمون في سرقسطة وتطيله إلى اراغون ، وعلى أن تطبق أيضاً ، عقوبة الحرمان الديني بشأن من يعارض الكنيسة.**(61)**

إن الملفت في هذه المؤتمرات التي عقدت في قشتالة واراغون ، إنها أبانت عن سيطرة دينية من لدن رجال الدين ، ومثل تفوقهم العددي في تمثيل المؤتمر سمة جديدة في اسبانيا ، وهي ظهور القيادة الدينية المنافسة للسلطة الحاكمة ، وهو ما شجع البابوية إلى الاهتمام بشؤون هذه البلاد ، والعمل على تثبيت سلطتها فيها **.(62)**

من جانب آخر يلاحظ إن زيادة سلطة البابوية في مملكة قشتالة ، وعمق تأثيرها الديني، لم يكن بمعزل عن الحالة السياسية التي سادت فيها ، بوجود الملك فرناندو الأول، الذي جمع بين التفوق العسكري **.(63)** والتدين ومما لا ريب فيه إن ارتباطه الوثيق بالمؤسسات الدينية من الأديرة ورجال الدين مسؤول إلى حد بعيد مما ميز عهده ، حتى كان يبادر إلى منح غنائم معاركه إلى الكنائس والأديرة ، وهذا قد اتى من ارتباطه بصلات متينة مع رجال الدين ، إذ امتاز بزيارته المستمرة إلى دير ساهاجون ، والذي كان رجاله من البندكتيون الموالون

للبابوية ، ولا يستبعد إن يكون ولائه المطلق للبابوية ، قد جاء من تأثير هؤلاء عليه **.(64)** لاسيما انه كان يقضي وقتاً طويلاً مع الرهبان فيه ، والتزامه بحضور الصلاة في الكنيسة مع الأحبار **.(65)**

ولذلك امتازت علاقته بالبابوية بأنها وثيقة وعميقة ، إذا كان من اشد المؤيدين لها ، حتى انه وقف ضد الإمبراطور الألماني هنري الرابع (448-499هـ/ 1056-1105م)، عندما حاول التدخل في اختيار البابا ، بجعل نوريوس الثاني محل الاسكندر الثاني (453-466هـ/ 1061-1073م) ، مما اغضب فرناندو ، ودفعه إلى تأييد الاسكندر ضد منافسه **.(66)** ومما لاشك فيه إن هذا الولاء المطلق إلى البابوية ، قد ساعدها كثيراً في بسط سلطتها الروحية مستفيدة ، من إسنادها الديني الروحي للأسبان عسكريا خلال هذه المدة الزمنية **.(67)**

يبدو إن وجود قيادات دينية منافسة للسلطة الزمنية ومؤيدة للبابوية ، بالإضافة إلى ولاء القيادات السياسية الحاكمة في اراغون وقشتالة إليها أيضاً ، شجع البابا الاسكندر الثاني ، على مواصلة الجهود الرامية إلى ربط الكنيسة الاسبانية بروما ، وأرسل على هذا الأساس ممثلا عنه ، يدعى كنديدوس ، قابل حاكم اراغون الملك سانشو (455-487هـ/ 1063-1094م) ، في عام (464هـ/ 1071م) ، وتناولت المقابلة إقامة الصلاة الرومانية ، ونبذ السحر والخرافات ، وسن عقوبات ضد شراء المناصب الكنسية ، وحسمت النتيجة في صالح البابوية **(68)**. ولاسيما بعدما صار الإشراف على الأديرة في اراغون تابعا إلى البابا **.(69)** وبموجبها رفعت عنها سلطة الأسقف ، بعد حصول المملكة على رعاية البابا وحمايته ، كما حصل ملك اراغون على موافقة البابا على استخدام دخل الكنائس في مناطق حكم المسلمين في قتالهم ، والتزم ملكها أيضاً ، بدفع خمسمائة مثقال ذهب سنويا إلى البابوية **.(70)**

وبهذا صارت اراغون خاضعة لنفوذ البابوية التي مثلها الاسكندر الثاني ، وساعد على ذلك أيضاً ، قربها جغرافيا من فرنسا ، مما جعلها مفتوحة على المؤثرات الخارجية **.(71)** وانتقال مؤيدي البابوية إلى اسبانيا ، بخاصة عقب نجاح الكلونيين في غالة الفرنسية ، برئاسة اوديلو من ترسيخ وجودهم بقوة ، وأيدت اوديلو أيضاً ،كنائس مناطق اكيتانيا وبروفانس وبرغنديا **.(72)**

وهنا معناه ان البلاد الفرنسية المجاورة لاسبانيا صارت مقرا للنفوذ البابوي ، ومن ثم قاعدة اساسية مؤثرة سياسيا ودينيا في جارتها المجاورة لها .

حين اعتلى رئاسة الكرسي البابوي جريجوري السابع (466-478هـ/1073-1085م) نشطت البابوية في عهده على فرض سلطتها ، ومحاولتها إخضاع السلطة الزمنية لها ، وبخاصة إن البابا الجديد كان شخصاً حازما ونشطا في مجال دعم السيادة البابوية **.(73)** وركز على اسبانيا ، وعد الهبة المالية المدفوعة للبابوية إتاوة ـ جزية ـ على اراغون ملزمة على دفعها ، واقر الامتيازات التي حصلت عليه المملكة في عهد سابقه ، وأضاف إليها بنداً جديداً ، وهو إن دخل الكنائس الخاضعة لحكم المسلمين ، يجب استعمالها في نشر الدين المسيحي ولكن الملك سانشو اعترض على ذلك في مؤتمر رودا الكنسي ، واحتج على مطاليب البابا . **(74)** ورد الأخير بمطالبة الأمراء الأسبان بالإذعان إلى سلطته ، واعتبار السيادة العليا في اسبانيا إلى البابوية ، وبرر ذلك على إن البلاد كانت تابعة إلى البابوية في روما قبل الفتح الإسلامي للبلاد ، لذا عدهم حكاما غير شرعيين ، وليس من حقهم القيام بفتوح جديدة ، إلا بأداء الجزية لروما ، وأثارت هذه الدعوة معارضة الملوك الأسبان ، لأنهم على ما يبدو وجدوا فيها استلاب لسلطتهم ، الأمر الذي دفع ممثل البابا في اسبانيا هوجو ، إلى تقديم النصائح إلى البابا بالاعتدال في التعامل معهم **.(75)**

يبدو ان البابوية في عهد البابا جريجوري السابع ، بدأت تربط بين الدين والسياسة في الحكم ، بمعنى آخر إن الحكم الشرعي لا يكون متكاملاً إلا بمباركة دينية منها ، وهو سند خطير اقترن بالدين وتأثيره الروحي على العامة من النصارى لإحراج موقف الحاكم المخالف لأوامرها . ودل على سعي البابوية لفرض سلطتها المطلقة على المؤسسة السياسية أيضاً ، تأكيدها على إن سلطتها الروحية اسما من السلطة الزمنية **.(76)** ثم شدد البابا على ضرورة سيادة سلطة الكنيسة الغربية التي تمثلها البابوية على الجميع ، دون استثناء **.(77)**

كانت السيادة الكنسية حلم البابا جريجوري السابع وهدفه ، لذا وجد ضرورة إجراء بعض الإصلاحات ليتسنى له بعد ذلك الوصول إلى غرضه . ففي عام (467هـ / آذار 1074م) عقد مجمعاً مهماً في روما من اجل القضاء على أكبر عائقين لمشروعه الثيوقراطي ألا وهما زواج القساوسة والسيمونية حيث اتخذت قرارات بشئنهما تمثلت بإقرار عزوبية القساوسة ، واعطاء حرية الاختيار للقساوسة المتزوجين بين تركهم لزوجاتهم او تخليهم عن مراكزهم الدينية .**(78)**

رجع البابا ، في عام (468هـ/1075م) ، للتأكيد على السيادة البابوية في اسبانيا ، وأرسل إليها ممثلا عنه ، يدعى اماتوس ، حمل معه إلى الأسبان مطالب جديدة ، نصت على عدم إقامة الصلاة الغوطية . **(79)** والتشديد في مسألة زواج رجال الدين ـ الماره ذكرها ـ ،

بالإضافة إلى مسألة تعيين الأساقفة ، الذي يجب أن يكون من حق البابا ، بدلا من الملك ، الذي كان يمارس هذا الحق . وفعلا نجح الممثل البابوي في الحصول على موافقة الأسبان على منح حق التعيين إلى جريجوري السابع ، وإلغاء الصلاة الغوطية في نافارا وارغون وقطلونيا ، في حين تأخر هذا الأمر في قشتالة ، وعارض سكانها بشدة تطبيق هذا الأجراء **.(80)** الأمر الذي حفز سكان مملكة نافارا إلى عدم قبولهم بالصلاة الرومانية ، ورفضهم التخلي عن الصلاة الغوطية **.(81)**

لم تدم معارضة الأسبان طويلاً حيث تم تسوية الأمر مع البابوية ، إذ توصل الملك الفونسو السادس (458-503هـ/1065-1109م) ، إلى اتفاق مع البابا جريجوري السابع ، على منح الأخير موافقته على طلاقه من زوجته الملكة اجيس ، ثم مباركة عقد قرانه على الأميرة الفرنسية كونستانس ، مقابل إقامة الصلاة الرومانية في منطقة حكمه **.(82)** وخلال ذلك عمل شانجة ملك نافارا على قبول الشعائر الجديدة ، ونشرها في بلاده ، وفي المدة الزمنية ما بين عامي (470-471هـ/ 1077-1078م) ، واصل الفونسو السادس تنفيذ اتفاقه مع البابوية ، بنشر التعاليم الجديدة في بلاده .**(83)** وأقيمت مراسيم الصلاة الجديدة في كنيسة ليون الكبرى ، على الرغم من معارضة رجال الدين الأسبان**.(84)**

ولم يكتف الملك بذلك ، بل نجح أيضاً في إرساء تلك المراسيم البابوية في المناطق التي استولى عليها من المسلمين ، وعد عام (478هـ/ 1085 م) ، نهاية ما عرف في اسبانيا بالصلاة الغوطية ، عندما ألغيت في مجمع برغش بحضور الفونسو السادس امتثالاً لأوامر البابوية .**(85)** ويبدو إن معارضة رجال الدين الأسبان الإذعان إلى السلطة المطلقة للبابا ، قد دفعت الأخير إلى إيجاد بدلاء عنهم ، حتى يتسنى له فرض سيادته الروحية على اسبانيا ، وتمكن من إبعادهم ، وحل محلهم البندكتيون القادمون من فرنسا ، لأشغال المناصب الدينية بدلا عنهم ، وقاموا بجهود كبيرة من اجل اقرار الكلمة العليا للبابوية ، وساهم دير ساهاجون البندكتي ، برئاسة برنار الفرنسي بدور فاعل في هذا المجال **.(86)**

وعلى إثرها بدأت العلاقات الدينية الاسبانية الأوربية تسير في مجال واحد ، هو الانخراط تحت لولاء البابوية من اجل قتال المسلمين ، وأخذت المساعدات الأوربية من نورماندیا واقطانيا وبرغنديا ، بالوفود إلى اسبانيا عبر ممرات جبال الألب ، واشترط البابا جريجوري السابع على الأسبان وحلفائهم الأوربيين ، على ان يرافقهم ممثلون عنه ، وأن المناطق التي يفتحونها تصبح خاضعة للبابوية **.(87)**

في ضوء ذلك يمكن تفسير أسباب اندفاع الفونسو السادس ، خلال المدة الزمنية ما بين عامي (470-478هـ/ 1077-1085م) ، لإرساء تعاليم البابوية في عموم بلاده ، بما فيها المناطق التي استولى عليها من المسلمين ، لأنه يقف وراء تحركه الدعم الديني لرجال الدين النصارى الفرنسيين الموالين للبابوية **.(88)** وتميز عهد هذا الملك الأسباني أيضاً بهجرة أعداد كبيرة من الرهبان الفرنسيين إلى اسبانيا ، لمساندة النصارى الأسبان ، وتوثقت العلاقة مع فرنسا ، بزواجه من كونستانس ، مما جعل برغنديا قاعدة أساسية لمدة يد العون لهم **.(89)** ويمكن الربط أيضا بين التغيرات الدينية الحاصلة في اسبانيا لصالح البابوية ، وبين حركة النزوح القادمة من فرنسا ، من خلال كون الأخيرة أصبحت قاعدة أساسية خضت للنفوذ البابوي ، وبخاصة جنوب البلاد ـ بلاد غالة ـ بفعل الكلونيين القاطنين فيها ، فكان المقر الرئيس لهم .**(90)** وكذلك نجاح البابوية في فرض هيمنتها الدينية في مناطق فرنسية أخرى ، مثل بروفانس عام (474هـ/1081م) ، وبرغنديا**.(91)**

يبدو من استقراء هذه الأحداث بدقة ، إن هؤلاء المهاجرين القادمين من فرنسا بصورة خاصة ، حملوا معهم فكراً دينيا يدين بالولاء المطلق إلى البابوية ، وعمدوا على نشر مبادئهم الجديدة في البلاد التي استقروا فيها، مما جعلهم أداة فعالة في تغير الفكر الديني الأسباني .

واصلت البابوية ، في عهد البابا اوربان الثاني (481-493هـ/1088-1099م) ، عزمها على تحقيق السيادة الكاملة في اسبانيا ، وأدركت مع مؤيديها من رجال الدين ، إن وجود معارضة دينية اسبانية ، من لدن رجال الدين الأسبان ، هو عقبة في طريقها ، وأوضحت حادثة عام (481هـ/ 1088م) ، عن مدى عدم قبول الأسبان التنازل عن استقلالهم ، باعتراضهم على تولي برنار رئاسة الكنيسة الاسبانية ، كونه فرنسي الأصل ، ليس من سكان البلاد الأصليين ، وعندما سافر إلى روما لنيل الثوب الكهنوتي ، استغلت البابوية هذه الحادثة ، وشجعت برنار على التخلص منهم ، وتم عزلهم وعين بدلا عنهم رجال دين فرنسيين من أتباع برنار **.(92)**

ثم أعطى البابا اوربان الثاني إلى برنار الثوب الكهنوتي ، ولأجل تقوية مركز برنار المؤيد لاوربان الثاني ، وإحكام قبضة الأخير على الكنيسة الأسبانية ، فقد بادر برنار إلى عزل الأساقفة الأسبان من الأسقفيات المهمة والكبيرة ، وجعل محلهم رهباناً فرنسيين من أتباعه ، وبهذه الخطوة صارت الأسقفيات ، في اوسمة وبراجا وسيجونزا وطليطلة وبلنسية وسمورة وقلمرية ، خاضعة لإرادة البابوية .**(93)**

وعلى اثر هذه التطورات المهمة التي حصلت في اسبانيا لصالح البابوية ، أرسل البابا اوربان الثاني ممثلا عنه إلى اسبانيا ، عام (484هـ/ 1091م) ، بهدف إجراء إصلاحات كنسية ،وقابل الكردينال رنزيوس الملك الفونسو السادس ، وعقد في ليون على إثرها اجتماعاً ، حضره ممثل البابا رنز يوس ، والملك الفونسو السادس وحاشيته ، وانبثق عن هذا الاجتماع جملة من المقررات نصت على ، تعاليم صادرة من اوربان الثاني بعزل عدد من الأساقفة ، وتعيين آخرين بدلا عنهم ، والتأكيد على إقامة الصلاة الرومانية ، ويبدو إن علاقات الملك الأسباني بالبابوية ظلت جيدة ، حتى بعد انتزاع حق تعيين الأساقفة من الملك ، ونقل صلاحياتها إلى البابا ، وكانت الغاية من وراء هذه الخطوة ، فرض مؤيدي البابوية على حساب مؤيدي السلطة الزمنية ، ورغم حصول خلاف بين البابا والملك ، حول تعيين أسقف كنيسة شنت ياقب ، غير إن الاختلاف لم يتطور إلى مسألة إصدار حرمان كنسي بحق الفونسو . **(94)** لأن الأخير أدرك إن من مصلحته عدم معارضة البابوية ، وإبقاء صلات المودة جيدة معها ، لحاجته لدعمها في التصدي للخطر الإسلامي ، الذي مثله المرابطون الذين دخلوا إلى البلاد الأندلسية ، منذ عام (479هـ/ 1086م) ، وأسهموا في دعم مركز المسلمين فيها سياسياً وعسكرياً ، وبدؤا فيها بجهادهم ضد الأسبان ، الأمر الذي عانى منه الأخيرون كثيراً ، وقلب موازين القوى لصالح المسلمين .**(95)** فكان لابد من المحافظة على مساندة البابوية لهم ضد أعدائهم الجدد ، وهنا تطلب كما يبدو من موقف الملك الأسباني المار ذكره ، الموافقة على تعاليمها وأوامرها في بلاده دون جدال .

نجح البابا اوربان بواسطة مؤيديه ، من فرض كلمة البابوية على اسبانيا ، ودلل على ذلك المؤتمرات الكنسية في اسبانيا ، والتي عقدت بحضور الممثلين البابويين ،على الرغم من وجود رئيس أعلى للكنيسة الأسبانية وهو من أصول فرنسية .**(96)**

ويبدو ان هذا يدل على إن المقاليد الروحية الدينية في اسبانيا ، أصبحت بيد البابا ، وانطلق الأخير من خوفه أن يتجه الأسبان إلى إنشاء كنيسة مستقلة خاصة بهم بعيداً عن سلطته ، الأمر الذي دفعه إلى إنهاء أية معارضة تبديها القوى الدينية المعارضة ، وكان سلاح العزل والتعيين ، ابرز مثال على عمق ذلك الهدف البابوي لأزاحته المعارضين ، واستبدالهم بالمؤيدين .

الخـاتمة

إن اهتمام البابوية بأسبانيا بشكل كبير لم يكن فقط خوفاً من استقلال الكنيسة الأسبانية وخروجها على سلطتها بل يضاف سبب آخر هو طبيعة التطورات السياسية والعسكرية التي حدثت فيها ابتداءاً بالفتح الإسلامي لها وانتهاءاً بدخول المرابطين إليها ، الأمر الذي أدركت فيه البابوية إن الوجود الإسلامي شكل تهديداً خطيراً للمناطق المجاورة لاسبانيا ، ونبهت العمليات العسكرية للمسلمين في عهد الولاة باتجاه الجنوب الفرنسي ، إلى ضرورة توحيد القوى وحشدها لصدهم وهذا لا يكون إلا بدعم الأسبان تحت إشراف وقيادة من لدن البابوية ولذلك باشرت الأخيرة بفرض سلطتها الدينية أولاً على المؤسسات الدينية ومن ثم السياسة وانتهاءاً بأحكام قبضتها الشاملة على معظم الكنائس الأسبانية وهذا ما تم في عهد البابا اوربان الثاني .

هوامش البحث

1- بينز ، الأمبراطورية البيزنطية ، ص8-9 ، وينظر : توفيق ، تاريخ الدولة البيزنطية ، ص33 ص46-49؛

Baker, asummary of christian history, p.40-41 .

2- الحويري ، روئية vasiliev, history of the Byzantine empire, p.51؛ في سقوط الإمبراطورية الرومانية ،ص61 .

3- عاشور ، أوربا العصور الوسطى ، ج1، ص65-66 .

4- معتقد ديني عرف عند النصارى يقوم على أساس إن المسيح هو ابن الله والله والده ومريم والدته ، أي بعبارة أخرى الأب والابن وروح القدس . هذا هو الثالوث عندهم . أنضر : امين ، تاريخ أوربا ، ص 41-42 ؛الخضري ، تاريخ الفكر المسيحي ،ج 1، ص621؛ فرح ، الحضارة الأوربية ، ص162 ؛(راجع إنجيل لوقا . حول ذلك) .

5- الاريوسية نسبة إلى اريوس arius وهو ليبي الجنسية ، درس اللاهوت في مدرسة انطاكيا ثم جاء إلى الإسكندرية ، وكان اريوس عالماً متقشفاً ، استطاع ان يجلب حوله جماعة من أهل الإسكندرية لاسيما الرهبان الذين وجدوا في اسلوبه الوعظي والتعليمي تجديدا وابتكارا يختلف عما سمعوه من قبل . دعا عام 323م إلى مذهبه القائم على أساس إن المسيح اقل شأناً من الله نعم هو أزلي لكنه له بداية هي ولادته في حين إن الله لا بداية له ولا نهاية وهذا الطرح جعله أي المسيح اقل من مرتبة الإله . أما المنوفستيون فقد اعتبروا إن للمسيح طبيعة واحدة فقط ، وانتشرت تعاليمهم في الشرق وبخاصة في مصر وسوريا وفلسطين حتى صار مشكلة للسلطة الحاكمة هناك . ينظر :

vasiliev, History of the Byzantine Empire, p.55؛

الخضري ، تاريخ الفكر المسيحي ، ج1، ص619؛ رستم ، الفرق والمذاهب المسيحية ،ص21-32 ؛ لوريمر ، تاريخ الكنيسة ،ج 3، ص40، ص44 ؛ عاشور ، تاريخ اوربا ، ص39-40 .

6- امين ، تاريخ أوربا ، ص87 .
7- الخضري ، تارخ الفكر المسيحي ، ج 1، ص632 ؛ لوريمر ، تاريخ الكنيسة ،ج 3، ص51 ؛ ملر ، مختصر تاريخ الكنيسة ،ص160 .
8- امين ، تاريخ أوربا ، ص87 .
9- اليوسف، الإمبراطورية البيزنطية ، ص 33-34 ؛ وينظر : توفيق تاريخ الدولة البيزنطية ، ص62-68.
10- كيرتز ،المسيحية عبر العصور ، ص184 ؛ أمين ، تاريخ أوربا ، ص93 .
11- امين ، م.ن ، ص88 .
12- عاشور ، أوربا العصور الوسطى ، ص68-69 .
13- زكار ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج 1، ص13-15 ؛ ولمزيد من التفاصيل حول ذلك ينظر : رنسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية ،ج2، ص19-24 .
14- زكار ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج1، ص.15
15- زكار ، الموسوعة ، ج2، ص23-25 .
16- السامرائي ، تاريخ العرب ، ص12 ؛ العتبي والعامري ، تاريخ ، ص219 .
17- مؤنس ، فجر الأندلس ، ص 6-8 ؛ الصوفي ، تاريخ العرب ، ص 60-61 ؛ زكار، الموسوعة ،ج2، ص24 .
18- مؤنس ، فجر الأندلس ، ص9 .
19- م.ن ،ص105 .
20- م.ن ،ص468-469 ، ص474-476 .
21- امين ، تاريخ أوربا ، ص70 .
22- م.ن ،ص105 .
23- فشر ، تاريخ أوربا ، ص 86-88 ؛ العريني ،تاريخ أوربا،ص 275-278 ، ص306-308 ؛ويراجع أيضاً: رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ج1 ، ص48-52 .
24- عاشور ، تاريخ أوربا ،ص 168 ؛ اليوسف ،العصور الوسطى الأوربية ، ص 146-147.
25- انظر عن قيام المماليك الأسبانية: عنان ، دولة الإسلام ، ص 535-547 ؛ الحجي، التاريخ الأندلس ، ص266-276 ؛ العمايرة ،مراحل ، ص29-37 ، ص76-82 .
26- نجح المسلمون في هزيمة أعدائهم النصارى مرات عدة ولهذا انحسر نفوذ الأخيرين في الأصقاع الشمالية كونها ذات طبيعة جغرافية تحميهم من عمليات المسلمين العسكرية ضدهم فضلا عن إنها مجاورة إلى أوربا وبخاصة فرنسا مما سه ل حصولهم على دعم الغرب الأوربي ـ أنظر : ارسلان ، تاريخ ، ص115-116 ، ص120-121 .
27- ياقوت الحموي، معجم البلدان،ج 3، ص417؛ ابن خلدون العبر،ج 4، ص197-203؛ العريني، تاريخ أوربا، ص365-366 ؛ وأنظر: الغانم، دور البندقية البحري، ص1-2 .
28- هو القديس يعقوب أو يعقوب الحواري أحد حواري السيد المسيح (ع) ، وتذكر الأسطورة انه قتل بأمر من هيرود الثاني ملك بيت القدس ، حمل تلاميذه جثته في مركب جاز به البحر المتوسط إلى المحيط ، ثم حملتهم الرياح شمالا حتى انتهوا إلى موضع في

قاصية جليقية ودفن فيها . أنظر : الحميري ، صفة ،ص 115-116؛ المخلصي ، تلاميذ المسيح ، ص56-64 .

29- عنان ، دولة الإسلام ، ص217 ؛ لورد ، اسبانيا شعبها وأرضها ، ص61-62 .

30- ابن عذاري ، البيان المعذب ، ج 2 ، ص294-295 ؛ السامرائي ، علاقات ؛ ص 33 ، طه ، دراسات أندلسية ، ص165-166 .

31- عنان ، دولة الإسلام ، ص218 .

32- هارتمان وباراكلاف ، الدولة والامبراطورية ، ص48، ص60 .

33- قاسم ، ماهية الحروب الصليبية ، ص40 .

34- رنسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية ،ج1، ص128 .

35- تمكن المسلمون في المغرب والأندلس من السيطرة على الملاحة في البحر التوسط، وبخاصة بعد سيطرتهم على صقلية عام 212هـ/827م ، من قبل الأغالبة حكام إفريقيا ثم بسط مسلمو الأندلس سيادتهم على كريت في السنة نفسها ، مما مكنهم من توسيع نطاق حكمهم في الشاطئ الإيطالي ، حتى ضموا إليهم بالرمو وطارنت وباري ، عام 226هـ/840م ، واقاموا فيها امارة اسلامية ، الأمر الذي جعل ايطاليا تحت رحمة الهجمات العسكرية الإسلامية . راجع عن هذه الفترة : ياقوت، معجم البلدان ، ج 3 ، ص 417؛ ابن خلدون ، العبر، ج 4، ص197-203، ص210؛ وينظر أيضاً : العريني ، تاريخ أوربا ، ص365-367؛ ارسلان ، تاريخ ، ص160-161 .

36- العريني ، تاريخ أوربا ، ص 365-367؛ وانظر : العلياوي ، الحملات الصليبية ، ص8 .

37- بك ، وثائق عن الحروب الصليبية ، ص65 .

38- قاسم ، ماهية الحروب الصليبية ، ص40 .

39- رنسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية ،ج1، ص128 .

40- مسرة ، تاريخ الأنشقاق ، ج2، ص142 .

41- عنان ، دولة الإسلام ، ص 217 ؛ لورد ، اسبانيا شعبها وأرضها ، ص 61-62؛ السامرائي ، علاقات ، ص33 .

42- مؤنس ، فجر الأندلس ، ص496 .

43- هي المناطق الشمالية من الأندلس في نافار وبسكونية وهضاب اشتوريس حيث شهدت ولادة الممالك الأسبانية الشمالية . أنظر : طه ، دراسات أندلسية ، ص 156-157 ؛ العلياوي ، الحملات الصليبية ، ص32-35 .

44- التواتي ، مأساة ، ص598 .

45- هيئة دينية نصرانية أسسها القديس بندكت عام 528م ، في دير مونتي كاسيني في روما ، ووضع قانون خاصا لإتباعه يقوم على أساس أربع قواعد رئيسة ،هي التبتل والطهارة ونكران الذات والطاعة العمياء ، ونظر إلى الراهب كمخلوق بشري يجب أن توفر له أسباب الراحة الإنسانية والحاجات الضرورية ، وجعل حياة أتباعه في أديرته اجتماعية ، فأدخل نظام العمل اليدوي والذهني إليها ، وركز على أهمية الجانب العلمي ، وتطوير ثقافة أتباعه ، لهذا احتوى الدير على مكتبة كبيرة لتثقيف أتباعه ، لهذا كانت الأديرة البندكتية

منبعا للعلم والمعرفة ، ومـن ايطاليـا انتشرت هذه الحركة وأفكارها إلى عموم أوربا . ينظر : فشـر ، تـاريخ أوربا ، ج 1، ص110-111 ؛ كولتون ، عالم العصور الوسطى ، ص171-172، هامش **(1)** ؛ ولتفصيل أكثر راجع : اليوسف ، العصور الوسطى الأوربية ،ص73-74 .

46- اشباخ ، تاريخ الأندلس ، ج1، ص125-126 .

47- التواتي ، مأساة ، ص596-598 .

48- العسلي ، الأيام الحاسمة ،ص44-45 .

49- اليوسف ، العصور الوسطى الأوربية ،ص 147 ؛ عاشور ، أوربـا العصـور الوسطـى ، ج1، ص339-340 ؛ وعن الكلونيين وتأسيهم راجع : كيرتز ، المسيحية عبر العصـور ، ص231؛

Atkinson, Spain abrief history, p.46-47.

50- كولتون ، عالم العصور الوسطى ، ص172، هامش (1) .

51- قاسم ، ماهية الحروب الصليبية ، ص 79-80 .

52- العسلي ، الأيام الحاسمة ،ص44-45 .

53- اشباخ ، تاريخ الأندلس ، ج1، ص10-11 .

54- رنسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية ،ج1، ص135 .

55- التواتي ، مأساة ، ص596-598 .

56- اشباخ ، تاريخ الأندلس ، ج1، ص15-16 .

57- التواتي ، مأساة ، ص599 .

58- اشباخ ، تاريخ الأندلس ، ج1، ص16 .

59- قاسم ، ماهية الحروب الصليبية ، ص80 .

60- اشباخ ، تاريخ الأندلس ، ج1، ص18 .

61- التواتي ، مأساة ، ص599 .

62- اشباخ ، تاريخ الأندلس ، ج1، ص16،ص18 .

63- أستطاع ان يشن عمليات ناجحة ضد مناطق سرقسطة وطليطلة وبطليوس ، وأخذ منهم مناطق عدة ، ودفعوا له الجزية . ينظر :

Bisthko, studies in medieval Spanish frontier history, p.9 ؛ chejne, muslim spainits history and cuiture, p.53.

64- اشباخ ، تاريخ الأندلس ، ج1، ص22 .

65- العلياوي ، الحملات الصليبية ، ص60 .

66- م . ن ، ص60 .

67- اليـوسـف ، عـلاقـات ، ص13؛ قـاسم ، ماهيـة الحـروب الصليبيـة ، ص37، ص43 .

68- اشباخ ، تاريخ الأندلس ، ج1، ص126 .

69- التواتي ، مأساة ، ص.601

70- اشباخ ، تاريخ الأندلس ، ج1، ص126 .

71- كاهن ، الشرق والغرب ، ص80 .

72- رنسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية ،ج1، ص130-131 .
73- هارتمان وباراكلاف ، الدولة والامبراطورية ، ص60 .
74- اشباخ ، تاريخ الأندلس ، ج1، ص126 .
75- التواتي ، مأساة ، ص601-602 .
76- اشباخ ، تاريخ الأندلس ، ج1، ص126 .
77- التواتي ، مأساة ، ص601-602 .
78- ملر ، مختصر تاريخ الكنيسة ، ص 243 ؛ يوسف ، تاريخ العصور الوسطى الأوربية وحضارتها ، ص50 ؛ عاشور ، تاريخ اوربا ، ص303 .
79- هي عبارة عن مجموعة من الطقوس والتعاليم الدينية ، أدخلت إلى اسبانيا من قبل القديس سان تور كواتوس ، مؤسس كنيسة وادي أش ، ثم حدد أصولها وشعائرها القديسيان ليانـدروس وأخـوه ايزيدور ، وشاع العمل بها أيام حكم الغوط الغربيين ومن هنا سميت الطقوس الغوطية ، وعرفت بأسم الطليطلية ايضاً ، لأن مجمع طليطلة الرابع قرر تعميمها في كنائس اسبانيا وغالة النربونية ، وفي المناطق الخاضعة لحكم المسلمين ، ولما بدأت حركت الاسترداد الأسبانيـة ، واستعـادوا المناطق التي بيد المسلمين أطلقوا على هذه الشعائر بالمستعربية ، نسبة إلى العرب المسلمون.أنظر : مؤنس ، فجر الأندلس ، ص 497-498 .
80- اشباخ ، تاريخ الأندلس ، ج1، ص126-128 .
81- مؤنس ، فجر الأندلس ،ص498 .
82- اشباخ ، تاريخ الأندلس ، ج1، ص127 .
83- مؤنس ، فجر الأندلس ،ص498 .
84- اشباخ ، تاريخ الأندلس ، ج1، ص127 .
85- مؤنس ، فجر الأندلس ،ص498 .
86- اشباخ ، تاريخ الأندلس ، ج1، ص128 .
87- ديفز ، أوربا العصور الوسطى ، ص188 .
88- التواتي ، مأساة ، ص602-603 .
89- بروفنسال ،الاسلام ، ص300؛ يوسف ، الدافع الشخصي ، ص47 .
90- رنسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية ،ج1، ص130-131 .
91- كاهن ، الشرق والغرب ، ص80-81 .
92- اشباخ ، تاريخ الأندلس ، ج1، ص127-128 .
93- م . ن ، ص130 .
94- م . ن ، ص130-131 .
95- ابن الكردبوس ، تاريخ الأندلس ، ص 90-91 ؛ ابن خلكان ، وفيـات الأعيان ، ج 5، ص29 ؛ محمود ، قيام دولة المرابطين ، ص279 .
96- اشباخ ، تاريخ الأندلس ، ج1، ص131 .

المصادر والمراجع

1 -انجيل لوقا ، بيروت ، 1969م .
- ارسلان ، شكيب .
2- تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وايطاليا وجزائر البحر المتوسط ، مطبعة عيسى الحلبي وشركاه ،مصر، 1933م . - اشباخ ، يوسف .
3- تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين ، ترجمة محمد عبد الله عنان ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، 1940م .- امين ، عبد الأمير محمد وآخرون.
4- تاريخ أوربا في العصور الوسطى ، بغداد ، 1980م .- بروفنسال ، ليفي .
5- الإسلام في المغرب والأندلس ، ترجمة عبد العزيز سالم ومحمد صلاح الدين حلمي،مطبعة نهضة مصر ، د . ت . - بك ، احمد رضا .
6- وثائق عن الحروب الصليبية ، ترجمة محمد بورقيبة ومحمد صادق الزمرلي ، ط3 ، دار بوسلامة ، تونس ، 1977م . - بينز ، نورمان .
7- الإمبراطورية البيزنطية ، تعريب حسين مؤنس ومحمد يوسف زايد ، ط 2،مدريد ،1957م . - التواتي ، عبد الكريم .
8- مأساة انهيار الوجود العربي بالأندلس، ط1، الدار البيضاء،1967م . - توفيق ، عمر كمال .
9- تاريخ الدولة البيزنطية ، الكويت ، 1977م . - الحجي ، عبد الرحمن علي .
10- التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة عام 92-897هـ/710-1491م ، ط1، بغداد ، 1976م . - الحميري ، أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت : حوالي 710هـ/1310م) .
11- صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار ، نشرها وصححها وعلق حواشيها إ- ليفي برفنسال ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، 1937م . - الحويري ، محمد محمد .
12- رؤية في سقوط الإمبراطورية الرومانية ، اسيوط ، 1981م . - الخضري ، حنا .
13- تاريخ الفكر المسيحي ، القاهرة ، 1981م . - ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد (ت : 808هـ/1405م) .
14- العبر وديوان المبتدأ والخبر ، بيروت ، 1971م . - ابن خلكان ، أبو العباس شمس الدين احمد بن محمد (ت : 681هـ/1282م) .
15- وفيات الأعيان وأنباء ابناء الزمان ، تحقيق إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ،1969م . - ديفز ، هـ . و .
16- أوربا في العصور الوسطى ، ترجمة عبد الحميد حمدي محمود ، ط 1 ، المعارف ، الأسكندرية ، 1958م . - رستم ، سعد .
17- الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم ، سوريا ، 2004م . - رنسيمان ، ستيفن .
18- تاريخ الحروب الصليبية ، نقلة إلى العربية السيد الباز العريني ، بيروت ، 1967م.- زكار ، سهيل .
19- تاريخ الحروب الصليبية ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، د . ت .

20- الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية (مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية المغرب والأندلس والبحر المتوسط ، دمشق ، 1995م . ـ السامرائي ، خليل إبراهيم .
21- علاقات المرابطين بالممالك الاسبانية بالأندلس وبالدول الإسلامية ، دار الحرية للطباعة والنشر ، بغداد ،1986م . ـ السامرائي ، خليل إبراهيم وآخرون .
22- تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس ، دار الكتب للطباعة والنشر ، جامعة الموصل ، 1986م . ـ الصوفي ، خالد .
23- تاريخ العرب في الأندلس ، (الفتح وعصر الولاة 92-138هـ/711-756م ، دار النجاح بيروت ، د. ت . ـ طه ، عبد الواحد ذنون .
24- دراسات أندلسية ، ط1 ، الموصل ، 1986م . ـ عاشور ، سعيد عبد الفتاح .
25- أوربا العصور الوسطى،التاريخ السياسي، ط9، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 1983م .
26- تاريخ أوربا في العصور الوسطى ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1972م . - العتبي ، محمد سعيد رضا علو والعامري ، محمد بشير حسن راضي .
27- تاريخ المغرب والأندلس في العصر الإسلامي ، بغداد ، 2002م . ـ ابن عذاري المراكشي ، أبو العباس أحمد بن محمد (ت : 712هـ/1312م) .
28- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق ومراجعة ج . س كولان و إ- ليفي بروفنسال ، دار الثقافة ، بيروت ، 1951م . ـ العريني ، الباز .
29- تاريخ أوربا في العصور الوسطى ، بيروت ، 1968م . ـ العسلي ، بسام .
30- الأيام الحاسمة في الحروب الصليبية، ط1، دار النفائس، بيروت، 1978م . ـ العلياوي ، حسين جبار مجيتل .
31- الحملات الصليبية على الأندلس حتى نهاية دولة المرابطين (96-541هـ/714-1146م) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية ، جامعة البصرة، 2005م . - العمايرة ، محمد نايف جريوان .
32- مراحل سقوط الثغور الأندلسية بيد الأسبان ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، الجامعة الأردنية ، 1989م . ـ عنان ، محمد عبد الله .
33- دولة الاسلام في الأندلس من الفتح الى بداية عهد الناصر ، ط 1، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، 1960م . ـ الغانم ، فائق حاكم عيسى
34- دور البندقية البحري في الحروب الصليبية 493-601هـ/1099-1204م ، بحث غير منشور ، كلية التربية ، جامعة البصرة . ـ فرح ، نعيم .
35- الحضارة الأوربية في العصور الوسطى،جامعة دمشق،1995م. فشر ، هـ . ا. ل.
36- تاريخ أوربا في العصور الوسطى ، نقله إلى العربيه محمد مصطفى زيادة والسيد الباز العريني، ط3، مصر، 1957م . ـ قاسم ، محمد عبده .
37- ماهية الحروب الصليبية ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ،1990م . ـ كاهن ، كلود
38- الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية ,ترجمة احمد الشيخ ، ط1، القاهرة 1995م . ـ ابن الكردبوس ، أبو مروان عبد الملك التوزري (من علماء القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي)

39- تاريخ الأندلس لابن الكردبوس ووصفه لابن الشباط نصان جديدان ، تحقيق احمد مختار العبادي ، مطبعة الدراسات الإسلامية ، مدريد ،1971م . ـ كولتون ، ج . ح .
40- عالم العصور الوسطى في النظم والحضارة ، ترجمة جوزيف نسيم يوسف ، ط 3 ، بيروت ، 1981م . ـ كيرتز ، ايرل .
41- المسيحية عبر العصور ، ترجمة سامي برنابا ، القاهرة ، 1992م . ـ لورد ، دروثي.
42- اسبانيا شعبها وارضها ، ترجمة طارق فودة ، القاهرة ، 1965م . ـ لوريمر ، جون .
43- تاريخ الكنيسة ، ترجمة دار الثقافة ، القاهرة ، 1988م . ـ محمود ، حسن احمد .
44- قيام دولة المرابطين ، القاهرة ، 1957م . ـ المخلص ، الأب فرنسيس يوسف .
45- تلاميذ المسيح ، مطبعة الزمان ، بغداد ، 1987م . ـ مسرة ، المطران جراسيموس .
46- تاريخ الانشقاق ، ط2، المطبعة الأدبية ، بيروت ، 1931م . ـ ملر ، اندرو .
47- مختصر تاريخ الكنيسة ، ترجمة ناشد ساويرس ، ط 4 ، القاهرة ، 2003م . ـ مؤنس ، حسين .
48- فجر الأندلس (دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الأموية 711-756 ، ط1، القاهرة ، 1959م . ـ هارتمان ، ل . م وباراكلاف ، ج .
49- الدولة والإمبراطورية في العصور الوسطى ، ترجمة وتعليق جوزيف نسيم يوسف، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1981م . ـ ياقوت ، شهاب الدين بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (ت : 626هـ/1228م) .
50- معجم البلدان ، ط2، بيروت ، 1995م . ـ يوسف ، جوزيف نسيم .
51- تاريخ العصور الوسطى الاوربية وحضارتها ، الإسكندرية ، 1984م .
52- الدافع الشخصي في قيام الحركة الصليبية ، مجلة كلية الآداب ، جامعة الإسكندرية ، م 16 ، 1962م . ـ اليوسف ، عبد القادر احمد .
53- الإمبراطورية البيزنطية ، بيروت ، 1966م .
54- العصور الوسطى الأوربية ، بيروت ، 1967م .
55- علاقات بين الشرق والغرب بين القرنين الحادي عشر والخامس عشر ، بيروت ، 1969م .

المصادر الانكليزية

--- Atkinson, William . c .
56- Spain abrief history, first published, London, 1934 .
--- Baker, Robert .
57- Asummary of christian history, nashrille, Tennessee, 1956 .
--- Bishko, charles julian .
58- Studies in medieieval Spanish frontier history, citedin : http : // libro . usco .edu.
--- chejne, anwer (y) .
59- Muslim spain its history and cuiture, 1973 .
--- vasiliev, A . A .
60- History of the Byzantine Empire (324-1453)، Wisconsin, 1952 .